

منظومة البيان بأسهل بيان للعلامة الشيخ الطاهر العبيدي

- دراسة وتحليل -

د. العزوزي حرزولي

جامعة الوادي

الملخص :

يعد الشيخ الطاهر العبيدي من ألمع علماء الجنوب الشرقي بالجزائر ، إذ لم يكن مفسراً للقرآن الكريم وفقهياً فحسب بل كانت له مصنفاته اللغوية والتي منها : الأمل في نظم رسالت العوامل ، نظم الأجرمية ، نظم رسالت الدردير ... تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على هذا النموذج في التأليف البلاغي مع إبراز المكانة العلمية السامية للشيخ باعتباره علماً لغوياً فضلاً عن كونه فقيهاً ومفسراً .

Abstract

Cheikh Tahar Alobeidi is one of the most prominent scholars of the south-east Algeria .Cheikh Tahar was a jurist and he was explaining the holy Quran , in addition to that he had many linguistic books like ; the hope in the message of factors , and system (poem) of alajarromia ... The study aims to shed light on this model in authoring rhetorical and highlighting the true status of the cheikh as a linguistic personal as well as being a jurist and interpreter .

التعريف بالشخصية:

العلامة الشيخ الطاهر بن بلقاسم بن عمارة العبيدي، ولد بوادي سوف سنة 1304هـ/1868م¹، نشأ في أسرة فقيرة تمتحن الحداثة، لذلك كان يعرف في شبابه بابن الحداد أو الطاهر بن ضيعة نسبة إلى والدته ضيعة بنت بلقاسم، حفظ القرآن في سن مبكرة في ورقلة ثم في مساجد الوادي بالمسجد العتيق ومسجد النخلة أين جمعته علاقة الزمالة بالشهيد محمد الأمين العمودي أول أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتعلم لمجموعة من المشايخ من بينهم عبد الرحمان بن محمد العمودي (ت1909م) والذي عرف بتبحره في علم النحو كما درس على يد الشيخ محمد الصالح بن موسى (ت1917م)، ولما ظهرت عليه علامات التفوق نصحه أساتذته بالتوجه إلى جامع الزيتونة فرحل إليه سنة

1904م وتتلّمذ لعلمائه ومنهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ الخضر بن حسين والشيخ محمد النجار وغيرهم من الأعلام، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى وادي سوف لأن ظروف والده المادية لم تسمح له بمواصلة الدراسة وأقبل على المطالعة باجتهاد أهله بعد ذلك للتفوق وقد نال الإجازة من الشيخ مصطفى بن عزوز بالمراسلة، إذ كان الشيخ بن عزوز قد رحل إلى تركيا وقد أطلق أهل الجنوب على الشيخ الطاهر العبيدي "مالك الصغير" اعترافا بغزارة علمه وتفننه في الفنون الإسلامية المختلفة وظل يعلم ويرشد طيلة ستين عاما حتى وافاه الأجل سنة 1968م وشيع بتقّرت في جنازة مهيبّة يقول عنها من حضرها أنه لم ير مثلاً قط واجتمع في تأبينه علماء من مناطق مختلفة من أبرزهم الشيخ ابراهيم بن عمار ببيوض (1889-1980م) .

مؤلفاته:

من المهم الإشارة إلى أن هذه هي أشهر مؤلفاته الباقية وقد ضاعت بعض المؤلفات ومن أبرز ما ترك هذا العلامة:

- جريان المدد في الاعتصام برجال السند وتقع في 856 بيت في التصوف.
- منظومة في التيمم.
- رسالة الستــــر.
- رسالة في الميراث.
- رسالة السلاح والعدة في أحكام المعتدة.
- رسالة في كيفية العبادة.
- رسالة رفع اللهو في كشف مسائل السهو.
- رسالة رفع الإبهام عن مسائل الصيام.
- رسالة انكشاف الدمعة لانكشاف مسائل الجمعة.
- رسالة التخويف والتخوف على منكر إيمان الصوفية والتصوف.
- رسالة الحج والعمرة وبيان كفيتهما الشرعية.
- النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية ومعها نصيحة الشباب المزيحة للسحب والضباب.
- رسالة في الجبر والاختيار والدليل عليهما².

أما مؤلفاته اللغوية فمن أهمها :

- بغية الأمل في نظم رسالة العوامل ومنها قوله:
- وبعد فاسمع أحسن الصواب واعلم بأن طالب الإعراب
- يلزمه معرفة لمائت شيء وقد جادت بها منظومتي
- ستين منها سمها بالعامل ثم ثلاثين بمعمول يلي
- العشرة الأخرى هي الإعراب حاصلها ثلاثت أبواب

وثالث الأبواب في الإعراب والعمل الخاتم للكتاب
فهو أي الإعراب إما حركة أو حرف أو حذف لمن أدركه
- رسالة تلخيص الأجرومية.

- نظم رسالة القطب الدردير في البيان بأسهل بيان.

جهوده اللغوية:

كان العلامة العبيدي يرى أن تدريس اللغة العربية عامل مهم في الثقافة الإسلامية بل هو الركن الركين في الدين إذا يقول :

فكل من قد جهل الإعراب في دينه أخطأ الصواب
حيث النبي والكتاب عربي وخاتم الوحي لسان العرب
وقال شمس في كتاب النفحات علم اللغات فرضه كالصلوات³

والملاحظ أن مؤلفاته اللغوية الموجودة والتي فقدت و لم تبقى منها إلا عناوينها ، جاءت على شكل نظم ؛ ذلك أن الشعر التعليمي كان الوسيلة السائدة في الثقافة الإسلامية في القرون المتأخرة بل يعدّ اتجاهها عاما يهدف إلى تبسيط العلوم و الفنون و تيسير الإلمام بمشتملاتها وموضوعاتها على طلابها لسهولة حفظ الشعر وتذكره عند الإقتضاء⁴. والواقع الذي عايشه هذا العلامة يدعو إلى اعتماد هذا المنهج فمنطقة سوف وما جاورها تتسم بندرة الكتاب وانتشار الفقر والبعد عن الحواضر العلمية.

وأهم المنظومات اللغوية في منطقة سوف:

- ✓ نظم متن الأجرومية لخليفة بن حسن الأقمري وتقع في 71 بيتاً.
- ✓ نظم قطر الندى وبلّ الصدى لإبراهيم بن عامر.
- ✓ نظم في الصرف لإبراهيم بن عامر وهو مختصر منظومة ابن مالك الواردة في الأفعال التي جاءت بالواو والياء.
- ✓ بغية الأمل في نظم رسالة العوامل للطاهر العبيدي.
- ✓ نظم قطر الندى وبلّ الصدى لأحمد العبيدي.
- ✓ نظم في القواعد لأحمد العبيدي.
- ✓ منظومة في الأسماء اللازمة للإضافة.
- ✓ نظم في الجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها لمحمد الطاهر التليلي.

✓ منظومة في الصرف في ما جاء على وزن فاعل.

2. منظومات معاني الألفاظ:

- ✓ نظم في أسماء الأسد ونظم في الأطعمة لأحمد العبيدي.
- ✓ المدخل في غريب القرآن لمحمد الطاهر التليلي وهي منظومة تقع في 445 بيتاً.

3. في علوم البلاغة :

✓ نظم متن الاستعارات للسمرقندي لمحمد الطاهر التليلي .

✓ نظم رسالة الدردير في البيان بأسهل البيان للطاهر العبيدي⁵.

والمنظومة والتي نحن بصدد دراستها هي البيان بأسهل بيان ، فهي نظم لرسالة القطب الدردير ، وهي فيما يبدو ما زالت مخطوطة وتوجد نسخة منها بمكتبة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية⁶، ألفها أبو البركات شهاب الدين أحمد بن محمد الدردير (ت1201هـ).

و النظم البلاغي معروف في الثقافة العربية ، ومن ذلك منظومة أبي الوليد محب الدين محمد بن محمد بن أيوب الحلبي المعروف بابن شحنة (ت 805هـ) وهي منظومة في علم البيان والمعاني والبديع ، كما ألف السيوطي (ت 911هـ) قصيدة أسماها عقود الجمان في علمي المعاني والبيان وكان ابن معط الزواوي قبلهم قد ألف منظومة في علم البديع⁷.

وصف المخطوط:

يقع المخطوط في ستة وثمانين بيتا ، كتب بخط مغربي وجاء في ثمان صفحات من الحجم المتوسط تضم كل صفحة أحد عشر بيتا ماعدا الصفحة الأولى فتضم ثمانية أبيات مع البسملة والعنوان والصفحة الأخيرة التي جاءت في اثنتي عشر بيتا والمنظومة التي نحن بصدد دراستها مصورة عن مخطوط بمكتبة الشيخ مصطفى سالمى (1914-1996) وفصلت أجزاؤها بلفظ (فصل) ويمكن تقسيم هذا المخطوط إلى أجزاء مهمة:

- الثمانية أبيات الأولى فكانت كالمقدمة المألوفة عند النظام ذكر فيها الناظم اسمه ووصف عمله ثم بدأ بحمد الله والصلاة على رسوله ثم ذكر موضوع النظم وبيّن الشيخ العبيدي أنها على سبيل الاختصار فهي كبقية أعماله موجهة للتعليم وهذه الصفحة الأولى وقد يكون الخط للشيخ العبيدي كما قد يكون للشيخ مصطفى سالمى. ب- موضوع النظم: وجاء في احدى وسبعين بيتا تضم نظم رسالة الدردير وميز موضوعاتها بكلمة "فصل".

- السبعة أبيات الأخيرة وخصصها للعقيدة.

وهذه بعض أبيات الشيخ الطاهر العبيدي لرسالة أحمد بن محمد الدردير في علم البيان إذ يقول :

قال الفقير الطاهر العبيدي	المرتجي نيل المنى والأيدي
ناظم نثر الجهبذ الدردير في	فن البيان رازق اللطف الخفي
الحمد لله وصلى ربنا	على رسول قد حوى كل الهنا
وآله وصحبه والعلماء	العاملين الراشدين الحكماء
وهذه رسالة لطيفة	فائقه أترابها منيفة

موضوعها التشبيه والمجاز
وهي على سبيل الاختصار
وبعد أن يفصل في المجاز ينتقل إلى الاستعارة فيقول:

إن المجاز ثلاث ينقسم
فهو يكون في المركبات
إسناد فعل والذي قد ماثله
وذاك مع قرينة ليظهرها
وسمه أيضا بالمجاز العقلي
ثم العلاقات هي الزمان
نحو النهار صائم وقد بنى
وكالربيع أنبت الأبقال
ثم القرينة التي تقدمت
وقولته المجهول والله البديع
وثاني الأقسام المجاز المجرد
وحده كلمة مستعملة
لعلقة قد قصدت وتلزم
فإن تكن علقة المشابهة
وحيث كانت غيرها كالكل
أو اعتبار ما مضى والسبب
أو كان نية للآزم أو بدل

ثم الكناية بها تمتاز
والاقتصار تحفة للقاري

إما في الإسناد وإما في الكلم
فأول الأقسام لها ذا الآتي
لعلقة لغير ما وضع له
الفرق ما بين مجاز وافترا
وغيره وانظر كلام الأصل
والسبب المفعول والمكان
أميرنا البلدة من غير عنا
والأرض أيضا أخرجت أثقالا
لفظية ومعنوية أتت
بعد صدور أنبت البقل الربيع
وهو الذي في الكلمات يوجد
في غير ما وضعت الكلمة له
قرينة بها المراد يعلم
فهي استعارة وما بها شبه
والبعض والمثال والمحل
أو المجاورة والمسبب
أو مطلق فهو المجاز المرسل

فصل

والاستعارات ثلاث موضعه
فإن بدا مشبه به فقط
كأسد رأيت في الحمام
وهي إذا مشبه به استتر
وقد بدا مشبه مكنية
ويلزم التخيل للمكنية
فشبهت بسبع وحذفا
وها هنا لازمة الأظافر

مكنية التخيل والمصرحة
فذاات تصريح وما بها شطط
مشبهها للرجل المقدم
وانما لازمة كان ظهر
وذكرك اللازم تخيلية
كنشبت أظافر المنيّة
ودل عنه اللازم بلا خفا
وذكرها التخيل وهو ظاهر

إلى أن يقول :

والمستعار إن أتى اسم جنس
وأسد فإنها أصليّة
لأنها في الاسم والأفعال

أي غير مشتق كقتل النفس
وغير ما قدم تبعية
تابعة لمصدر المثال

إلى أن يقول:

ثم المجاز الثالث المركب ضابطه اللفظ الذي يركب
مستعملا في غير ما وضع له وذاك مع قرينة مكمله
وهكذا تستمر الأبيات شاملة كل ضروب البيان .

هذه إذا مختارات من المنظومة التي يصل تعداد أبياتها إلى ستة وثمانين بيتا والملاحظ أنها منظومة تعليمية كأغلب منظومات الشيخ العبيدي، ذلك أن النظم أسهل في الحفظ وأقرب إلى طبيعة العرب ، كما أن الأمثلة الكثيرة التي تضمنتها المنظومة تسهل الفهم ، فالذين نظموا علوم العربية عموما قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين ، خاصة في بيئة يندر فيها الكتاب وتقل فيها الوسائل التعليمية "، فهذا النمط التأليفي يحقق غرضا تربويا يتمثل في التدرج في التحصيل العلمي⁸، إذ يربط التلميذ بشيخه وخاصة إذا كان الشيخ هو الناظم، كما هو الحال في منظومة البيان بأسهل بيان للشيخ الطاهر العبيدي ومن ذلك إشارته إلى بيت بشار رغم أن الدريد ير ذكره.

ومن المهم التنويه إلى أن الناظم سلك طريق السهولة واليسير ، فلم يعرف المجاز تماما كما فعل صاحب الرسالة إذ قال: " هذه رسالة لطيفة في بيان المجاز والتشبيه والكناية على سبيل الاختصار والاقتصار " إلى أن يقول " اعلم أن المجاز إما أن يكون في الإسناد وإما في الكلمة وإما في المركب"⁹. ويقول الشيخ العبيدي:

وهذه رسالة لطيفة فائقة أترابها منيعة
موضوعها التشبيه والمجاز ثم الكناية بها تمتاز
وهي على سبيل الاختصار والاقتصار تحفة للقارئ
كما أنه التزم بأمثلة الشيخ الدريد كقوله :

نحو النهار صائم وقد بنا أميرنا البلدة من غير عنا
فهي الأمثلة ذاتها التي جاء بها صاحب الرسالة، لكن الشيخ العبيدي قد يفسر المثال وذلك قوله:

كأسد رأيت في الحمام مشبها للرجل المقدام
وقوله:

ويلزم التخيل للمكنية كنشبت أظافر المنية
فشبهت بسبع وحـذفا ودل عنه اللازم بلا خفا
وها هنا للضرورة الأظافر وذكرها التخيل وهو ظاهر

فكما هو ملاحظ فقد قدم درسا في البلاغة بشكل منظوم ، مما يسهل حفظه على تلاميذه وربما نقله إلى مجموعات أخرى، فقد عرف عنه أنه كان يعلم بمناطق مختلفة إذ درس في سوف ووادي ريغ والجلصة وبوسعادة وغيرها¹⁰.

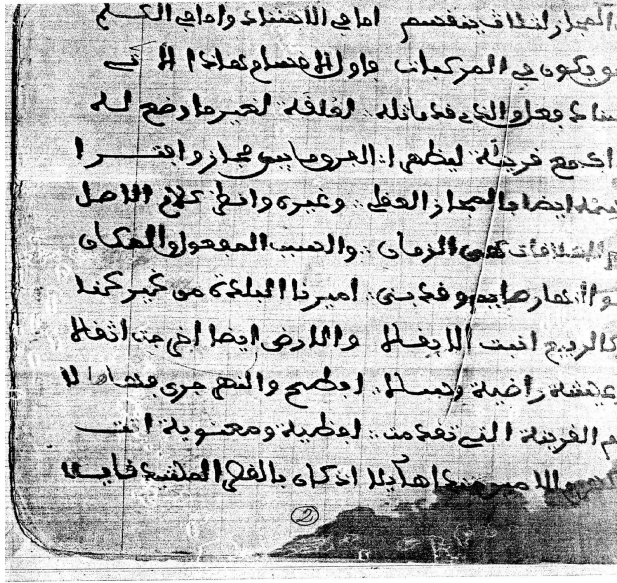
كان الشيخ العبيدي شديد الحرص على تعليم العربية لطلابه بل لقد نظم قصيدة في هذا الغرض منها:

صاح إن رمت أن تعيش بعز	واعتبار في الفضل والتكريم
ظافرا بالمنى دنيا وأخرى	سامي القدر عالم التقويم
فاسلكن في اكتساب علم طريقا	ثم اخلي في العلم والتعليم
كل علم فانفض إليه ولكن	خص نحوا بالبده والتقديم
إنما النحو باب كل وهذا	باب المتن لابن أجروم
فكان الأستاذ حي يناج	ينا ويبيدي عجيبا من علوم
فاستتيروا بنوره واحفظوه	واكرعوا من رحيقه المختوم
فإن من يحفظ المتن ويلقى	أذن قلب لدرسه المحتوم
إنما العلم ما حفظت فصدق	إن في المتن جاء بالتفهيـم
كل من يهمل المتن ويستد	حي بعلم فذاك كالمعدوم
وإذا كانت الغصون ضعافا	إن في النحو براء كل سقيم ¹¹

فهذه الأبيات تبرز بجلاء منهجه في التعليم وحرصه الشديد على تلقين العلوم اللغوية ؛ ذلك أن المنظومات التعليمية وما أطلق عليه اسم " الشعر التعليمي " الذي يوافق الشكل الخارجي للشعر وزنا وقافية ، وكانت في معظمها من المزدوجات التي جعلها بعض الأدباء والعلماء وسيلة تعليمية غايتها تقرير العلوم وتثبيتها وتسهيل حفظ المتن العلمية على طلبته العلم ؛ لأن النظم أعلق بالذهن¹² . فقد وفق الشيخ في اختيار الوسيلة المناسبة لزمانه والتي تلائم ظروف طلبته .

لقد كان لهذا العالم الفذ دور بارز في تعليم الناشئة والكبار على حد سواء وكانت له مؤلفات لغوية متنوعة ضاع أكثرها وما بقي منها يدل على تبخره في علوم العربية وحرصه في نقلها إلى الأجيال، بل أن تفسيره للقرآن لم يكن يخلو من إشارات بلاغية ونحوية ومعجمية بأسلوب ميسر تمكن من خلاله من نقل هذه العلوم إلى العامة ، ناهيك عن الخاصة من تلاميذه وظل على جهاده العلمي ستين سنة ، فحفظ الله به وبأمثاله اللغة العربية في هذه الربوع من الضياع والانطماس ، ولئن ضاعت أكثر مؤلفاته فإن العزاء في تلاميذه الكثر الذين رفعوا لواء التعليم من بعده.

وهذه صورة الصفحة الثانية للمخطوط.



هوامش :

1. أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب ، سعد بن البشير العمامرة ، وأحمد بن الطاهر منصوري ، شركة مزوار للنشر والطباعة الوادي ، 2006 ، ص 39.
2. مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية ، علي غنابزيت ، مطبعة مزوار ، ط 1 ، 2014 ، ص 37
3. الشقيقان ، د. عاشوري قمعون ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط 1 ، 2010 ، ص 45
4. ينظر : في تاريخ البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، ص 317-318
5. المنظومات اللغوية عند علماء سوف: دراسة تحليلية ، حرزولي العزوي ، الذاكرة ، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري ، كلية الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرياح ورقلة ، ص 128-129.
6. ينظر: موقع www.makhtota.ksu.edu.sa بتاريخ 2012/04/08.
7. ينظر: العرب يصنفون معارفهم بالشعر ، د. عادل فريجات ، مجلة التراث العربي ، العدد 65 ، السنة الأولى ، أكتوبر 1996
8. المتون والشروح والحواشي و التآليف النحوي ، عبد الله بو عويقل السلمي ، مجلة الأحمدية ، 4 ، أوت 1990 ، ص 619 ، دارالبحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بديي .
9. تحفة الإخوان في علم البيان ، تأليف أبو البركات شهاب الدين أحمد بن محمد الدردير (ت 1301هـ). متوفر على موقع www.makhtota.ksu.edu.sa بتاريخ 2012/04/08.
10. مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية ، علي غنابزيت ، ص 36.
11. الشقيقان ، د. عاشوري قمعون ، ط 1 ، 2010 ، ص 56-57.
12. الشعر التعليمي : بداياته ، تطوره ، سماته ، خالد الحلبوني ، مجلة جامعة دمشق ، مج 22 ، ع 3-4 ، 2006 ، ص 87.